

السؤال

نقرأ في كثير من آيات القرآن أن الله تعالى يخبر بأنه جعل على قلوب الكافرين أكنة وعلى أبصارهم غشاوة وختم عليها وأنه يصممهم ويعميهم عن الحق ، وقد علمنا - أيضاً - أن الله تعالى لا يجبر أحداً على الكفر ، فما هو توجيه هذه الآيات ؟.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

قال الشيخ الشنقيطي - رحمة الله تعالى عليه - :

فالجواب : أن الله جل وعلا بين في آيات كثيرة من كتابه العظيم أن تلك الموانع التي يجعلها على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم ، كالختم والطبع والغشاوة والأكنة ، إنما جعلها عليهم جزاءً وفاقاً لما بادروا إليه من الكفر وتكذيب الرسل باختيارهم ، فأزاح الله قلوبهم بالطبع والأكنة ونحو ذلك ، جزاءً على كفرهم ، فمن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى : (بل طبع الله عليها بكفرهم) النساء/155 ، أي بسبب كفرهم ، وهو نص قرآني صريح في أن كفرهم السابق سبب الطبع على قلوبهم ، وقوله : (فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم) الصف/5 .

وهو دليل واضح أيضاً على سبب إزاغة الله قلوبهم هو زيغهم السابق ، وقوله : (ذلك بأنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم) المنافقون/3 ، وقوله تعالى : (في قلوبهم مرضٌ فزادهم الله مرضاً ...) البقرة/10 ، وقوله : (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم في طغيانهم يعمهون) الأنعام/110 ، وقوله تعالى : (كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون) المطففين/14 ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن الطبع على القلوب ومنعها من فهم ما ينفع عقاب من الله على الكفر السابق على ذلك ، وهذا الذي ذكرنا هو وجه رد شبهة الجبرية الذين يتمسكون بها في هذه الآيات المذكورة وأمثالها في القرآن الكريم .